

مناهج وإتجاهات تفسير (البيّنات فى تفسير القرآن) للسيد جواد العلوى القزوينى

فتيحة بومجان^١

الملخص:

لقد تمّ بذل العديد من الجهود منذ القديم من قِبَل علماء الشيعة فى سبيل تأمين وإحياء التعاليم الحقّة لمذهب أهل البيت (عليهم السلام) و ذلك فى مجالات مختلفة من العلوم الدينية، من جملتها: التفسير، الحديث، الفقه، العقائد، علم الرجال، علم الأصول و.... فكانت نتيجة هذه الجهود المبذولة هو الحصول على كتب قيّمة؛ بعضها طُبِع بطريقة مُنمّقة و بعضها لا يزال مهجوراً فى ثنايا المكاتب الخصوصية و العمومية. من بين هذه الآثار المخطوطة؛ كتاب (البيّنات فى تفسير القرآن) الذى كان نتيجة الحياة المباركة للعالم الجليل المرحوم آية الله السيّد جواد العلوى القزوينى. جاء هذا التفسير بطريقة مزجيّة، و هو مشتمل على مقدّمة مفيدة حول مقدّمات التفسير و بعض مسائل العلوم القرآنيّة كمبحث جواز تفسير القرآن، حجّيّة ظواهر القرآن، معانى التفسير بالرأى، و منشأ إختلاف المفسّرين من حيث المناهج التفسيريّة. و بما أنّ تفسير البيّنات كان ضمن المخطوطات التى لم تُطبع و لم تُخرج من ثنايا المكتبات؛ كان لى الشرف أن أصحح نسخه من نسخ هذا العالم الجليل و التى كانت بداية التفسير حتى نهاية سورة الحمد و أيضاً سورة العنكبوت و سورة الروم و تسلمت هذه النسخ من ابن المفسر رحمه الله عليه. فى هذا المقال نحاول أن نتعرف على المناهج و الإتجاهات التفسيرية لهذا المفسر الجليل القدر، فقد تمّ بيان الأساليب التفسيرية التى استفاد منها المفسر مع ذكر مجموعة من الأمثلة.

الكلمات المفتاحية : مناهج التفسير، إتجاهات التفسير، تفسير البيّنات، جواد القزوينى.

المقدمة

يعتبر القرآن الكريم كتاب هداية للبشر، فهو المرجع النصي الأساسي للمعرفة الإسلامية و لهذا اشتدت حاجة المسلمين الى معرفته مقاصده و تفسير دلالاته و كشف القناع عن مرادته بعد وفاة النبي (ص)، فإن من عظمته كتاب الله تعالى أن وضع و رسم للمسلمين طريق الهداية و الخير، و جعل لنا تعالى في هذه الطريق منارات لنتهدى بها، فهو الكتاب الذي لا تنقضي عجائبه ولا يخلق و لا يبلى على مرّ الدهور و الأزمنة .

و بحثاً عن الكنوز الموجودة في هذا الكتاب العزيز توجه العديد من العلماء الأجلاء في كل قرن؛ فتابروا و جدوا و اجتهدوا للبحث و التنقيب - و ذلك في مجالات مختلفة - لفهم ما جاء فيه، و استمراراً لهذه الطرق برز في عصرنا الحاضر - و هو القرن الخامس عشر - أحد من العلماء الأعلام لتفسير كتاب الله المجيد و بيان معانيه، بحيث كان يلقي جلسات تفسيرية على طلابه، فكان هذا المفسر المخضرم آية الله السيد جواد العلوي القزويني؛ و كان هذا التفسير بعنوان: « البيئات في تفسير القرآن »

و لكن للأسف لم يكمل المفسر ما بدأ به من تفسير كل القرآن الكريم؛ بل وصل إلى الآية (٣٣) من سورة «مريم» و ذلك لأنّ الأجل المحتوم على بني البشر قد سبقه قبل إتمام هذا العمل العظيم ووافته المنية في سنة ١٣٨٢ هجري شمسي.

و قبل البدء في دراسة المناهج و الاتجاهات نستعرض نبذة قصيرة عن حياة المؤلف (٥).

السيد جواد العلوي القزويني

«هو العالم المعاصر الرباني و المحقق في آيات الله المجيد هو السيد جواد العلوي القزويني - قدس الله نفسه الزكية-

ولادته و نسبه

السيد جواد ابن العالم الجليل الحاج آغا بزرگ العلوي القزويني من علماء و أئمة الجماعة المعاصرين في قزوين، ولد في سنة ١٣٠٧ للسنة الشمسية في مدينة قم المقدسة.

أساتذته

درس السيد جواد المقدمات و السطوح فى مدينة قزوین عند والده و أتم دروسه عند العديد من العلماء الأفاضل من بينهم : عمه آيت الله السيد أبو الحسن رفيعى، و السيد محمد تنكابنى.

و فى سنة ١٣٣٥ شمسى الموافق لـ ١٣٧٥ قمرى، توجه السيد جواد إلى مدينة قم المقدسة بحيث درس عند العديد من العلماء الأفاضل فى تلك الديار، فقد شارك فى درس آية الله العظمى البروجردى و آية الله الخمينى و أيضا الحكيم المتأله و الفيلسوف الالهى و المفسر الكبير للقرآن الكريم العلامة الطباطبائى - صاحب تفسير الميزان - و العالم الربانى الحاج الشيخ مرتضى الحائرى و الحاج الشيخ عباسعلى الشاهرودى، و آية الله الأراكى و الحاج الشيخ محمد فكورى اليزدى .

و بعد إكماله للمراتب العلمية رجع السيد جواد العلوى القزوينى إلى مدينته قزوین بحيث انشغل بتدريس العلوم الدينية المختلفة و إقامة صلاة الجماعة فى مسجد السلطانى (مسجد النبى ص) و مسجد مكان إقامته المسمى ب(مسجد شيشه گرها).

من بين آثاره العلمية؛ تقارير لأساتذة الحوزة العلمية فى قم المقدسة.

و من بين ما قام به من الباقيات الصالحات :

بناءه لحسينية سيد الشهداء فى قزوین التى أوقفها المرحوم آغا مير عبد الباقي و ترك توليتها للعلماء من العائلة العلوية. و قد قام السيد جواد بتعمير و إصلاح هذه الحسينية التى توفقت لمدة من الزمن، و الآن هذه الحسينية يستفاد منها لنشر العلوم و المعارف الدينية و تبليغ الدين و ترويج الأحكام و تفسير القرآن الكريم و ذكر أحاديث و مصائب أهل البيت عليهم السلام^١.

و من بين ما ألف السيد جواد تفسير: (البينات فى تفسير القرآن) - النسخة التى تم تصحيحها -

^١ . أخذت سيرة السيد جواد العلوى القزوينى من موقع «راسخون»، بحيث كانت باللغة الفارسية و ترجمتها إلى اللغة العربية بتصرف.

حول تفسير البيئات في تفسير القرآن

تفسير البيئات من بين تفاسير علماء أهل البيت عليهم السلام، فهو تفسير معاصر و متشكّل من ثمانية أجزاء بحيث ابتدأ السيّد جواد (ره) كتابته تفسيره هذا في مكتبته الشخصية بدءاً من سورة «الحمد» إلى أن وصل إلى سورة «مريم» و بالضبط في الآية ٣٣ و التي تقول: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَى يَوْمٍ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾، فاضت نفسه الزكية و سلّم الأمانة الإلهية و رحل إلى جوار ربّه - رحمه الله عليه -

جاء هذا التفسير بطريقة مزجيّة، و المؤلّف (ره) قام في البداية بوضع مقدّمة مفيدة حول مقدّمات التفسير و بعض العلوم القرآنيّة؛ كبحث حجّة ظواهر القرآن، و جواز تفسير القرآن، و معانى التفسير و التفسير بالرأى، والمذاهب المختلفة من حيث أسلوب تفسير القرآن و منشأ اختلاف المفسّرين في المناهج التفسيرية، و تفسير القرآن بالقرآن، و أشار إلى كلام أستاذه المرحوم العلامة الطباطبائي القائم على ان الاستفادة من الأسلوب العلمى و انطباق الآيات على العلوم و الاكتشافات الجديدة للعلوم التجريبية هو أسلوب غير صحيح، ذلك لأنّ لازمه سيؤدّي إلى اختصاص القرآن بطائفة خاصّة من الناس فقط، و هو أمر بالغ الأهميّة.

هذا التفسير هو تفسير روائى - كلامى، فالمؤلّف الجليل اعتمد في تفسيره على كتب روائية معتبرة و تفاسير مأثورة؛ من بينها نور الثقلين، تفسير الصافى، تفسير مجمع البيان، تفسير كنز الدقائق، و تفسير منهج الصادقين في إلزام المخالفين، و فى الجدل الثالث من هذا التفسير الذى دام تحريره لعدّة سنوات دقّق و فصلّ فى امباحث الاعتقادية و الكلامية من قبيل؛ الاحباط، التكفير، الجبر و التفويض، الكلام النفسى، اعتقاد الحكماء و المتكلمين فى الكلام الالهى، كيفية كلام الله تعالى، أسباب الرياء و الشرك، دلائل إعجاز القرآن، دلائل النبوة، بحث الرجعة، المبدأ، المعاد، النسخ و المسخ و ...غيره.

فى هذا التفسير ابتدأ المفسر بشرح المعانى للكلمات و من ثمّ يذكر سبب نزول الآيات ثمّ يقوم بتفسير الآيات فى ظلّ الروايات الواردة عن المعصومين - عليهم السلام - ممّا هو

ملاحظ من أنّ المفسّر الجليل (ره) استفاد في الكثير من المواضع من منهج أستاذه المرحوم العلانّة الطباطبائي، و في بعض الموارد كان يستفيد من تفسير القرآن بالقرآن.

و الآن سوف أبدأ باستعراض المناهج و الإتجاهات التفسيرية لهذا المفسر مع بعض النماذج و الأمثلة من هذه النسخة، و لأنّ النسخة كانت خطية و يتعذر الرجوع إلى الصفحات أشرت إلى رقم الآيات حتى يسهل البحث فيها.

المناهج التفسيرية

قبل أن يبدأ المفسّر في تفسيره للقرآن الكريم عليه أن يستفيد من عدّة وسائل و مصادر لمعرفة المعنى الحقيقي للآيات الشريفة، و هذه الوسائل تسمى بالمناهج التفسيرية فما هي هذه المناهج؟

"هي الاستفادة من الوسائل والمصادر الخاصة في تفسير القرآن والتي يمكن من خلالها تبين معنى ومقصود الآية والحصول على نتائج مشخصة.

وبعبارة أخرى: إنّ كيفية كشف واستخراج معاني ومقاصد آيات القرآن الكريم هو ما يُطلق عليه «منهج التفسير» (الرضائي، دروس في المناهج و الإتجاهات التفسيرية للقرآن، ص ١٧). أمّا هذه المناهج فهي كالآتي: منهج التفسير الروائي، تفسير القرآن بالقرآن، التفسير العلمي، التفسير العقلي و الاجتهادي، التفسير الاشاري و التفسير بالرأى.

١- منهج التفسير الروائي:

«يُعدُّ منهج التفسير الروائي من أقدم المناهج التفسيرية وأكثرها شيوعاً، وهو أحد أقسام التفسير بالمأثور والتفسير النقلي.

إنّ المقصود من منهج التفسير الروائي هنا هو استفادة المفسّر من سنّة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيت عليهم السلام، والتي تشمل قولهم وفعلهم وتقريرهم، لتوضيح معاني آيات القرآن ومقاصدها» (مركز نون للتأليف و الترجمة، ٢٠١٢، ص ٩٤).

مثال من تفسير البيّنات: استدل السيّد القزويني في تفسيره المبارك بالعديد من روايات أهل البيت عليهم السّلام، لأنّه يعتبرهم المنهج الأصلي في تفسير آيات الكتاب الحكيم، ففي سورة العنكبوت مثلاً وفي الآية (٨)، التي تتحدث عن برّ الوالدين و حسن التّعامل معهم في كلّ شيء ما عدا الأمر بمعصيته تعالى فهذا لا ينبغي الإتياع فيه، لأنّه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، أمّا طاعة الوالدين في غير الشرك بالله فهي من أكبر الواجبات و لا تُقاس بشيء، كما أورد السيّد هذه الروايات المباركة عن النّبيّ (ص) قائلاً:

«روى عن بهر بن حكيم عن أبيه عن جده قال: قلت للنّبيّ (ص) يا رسول الله من أبرّ؟ قال أمك، قلت: ثمّ من؟ قال ثمّ أمك، قلت ثمّ من؟ قال ثمّ أباك، ثمّ الأقرب فالأقرب». وعن أنس بن مالك عن النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: « الجنّة تحت أقدام الأمّهات ». عن النّبيّ (ص) قال: «إنّ موسى بن عمران قال ياربّ أين صديقي فلان الشّهيد؟ قال تعالى في النّار، قال أليس قد وعدت الشّهداء الجنّة؟ قال بلى و لكن كان مُصرِعاً على عقوق الوالدين و أنا لا أقبلُ مع العقوق عملاً ».

٢- منهج تفسير القرآن بالقرآن:

« يعتبر منهج تفسير القرآن بالقرآن من أقدم المناهج التفسيرية، وأوّل من اعتمده الرّسول الكريم (صلى الله عليه وآله)، حيث مارس هذا المنهج عملياً، وذلك أنّه كان يستعين على تفسير بعض الآيات بآيات أخرى، وقد تبع الرّسول (صلى الله عليه وآله) في هذا المنهج أئمّة أهل البيت (عليهم السّلام) وبعض الصّحابة، وقسم من التّابعين، واستمرت هذه الطريقة في التفسير وحظيت بإجماع العلماء » (الأزرقي، ٢٠١١م، ص ٣٠٨).

مثال من تفسير البيّنات : استفاد العلامة أيضاً من هذا المنهج و هو تفسير القرآن بالقرآن فنجده في سورة: "الحمد"، في معنى الآية: « صراط الذين أنعمت عليهم »، فينّ المفسّر و ذلك بالاستدلال بآية أخرى من هم الذين أنعم الله عليهم، حيث كانوا من النّبیین و الصّديقين و الشّهداء و الصّالحين، قائلاً:

« قال الله تبارك و تعالى: «و من يطع الله و الرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين و حسن اولئك رفيقا ». فصرط المستقيم هو أتباع الذين أنعم الله عليهم بأن خصهم بالعصمة و احتج بهم على بريته و فضلهم على خليقته و لم يشركوا بالله طرفه عين أبداً ».

٣- منهج التفسير العقلي:

« يحظى منهج التفسير العقلي (الذي عُرِفَ بتعاريف كثيرة) بمنزلة خاصة بين مناهج التفسير، و قد اتخذت المذاهب الكلامية (الشيعة، المعتزلة، الأشاعرة...) بإزاء هذا المنهج مواقف مختلفة، و قد يُطلق عليه في بعض الأحيان منهج التفسير الاجتهادي، و قد يُذكر كأحد أقسام منهج التفسير بالرأى، و قد يُنظر إليه بنظرة مساوية للاتجاه الفلسفي في التفسير. المراد من التفسير العقلي الاجتهادي:

لكي يتوضح المقصود من منهج التفسير العقلي الاجتهادي لا بدّ من بيان معنى هاتين المفردتين و هما:

أ. العقل: في اللغة: هو بمعنى الامساك، و الحفظ، و منع الشيء، وفي الاصطلاح يطلق على معنيين:

١. القوة المستعدة لحصول العلم، و هي نفس ذلك الشيء الذي يفقدانه يرتفع التكليف عن الانسان، و قد ورد مدح العقل في أحاديث كثيرة.

٢. العلم الذي يحصل عليه الانسان بواسطة هذه القوة، و قد ورد هذا المعنى في القرآن عندما ذمّ الكافرين بسبب عدم التعقل، و قد استدلّ على هذا المعنى بأحاديث النبي صلى الله عليه و آله و سلم.

ويُستفاد ممّا تقدّم أنّ العقل قد يُطلق على القوة المفكرة تارةً، و أخرى على مُدركات هذه القوة، أي العلوم المكتسبة.

و لهذا فإنَّ العقل ينقسم إلى العقل الفطرى و العقل الاكتسابى، و قد يُقسَّم إلى عقلٍ نظرى و عقلٍ عملى. ب. الاجتهاد: المقصود بالاجتهاد هنا هو بذلُ الجهد الفكرى و استخدام قوة العقل فى فهم آيات القرآن و مقاصده، و على هذا فاستعمال الاجتهاد هذا أعمّ من الاجتهاد الاصطلاحى فى علم الفقه؛ لأنَّه يشمل آيات الأحكام و غيرها، أى أنَّ التفسير الاجتهادى يكون فى قبال التفسير النقلى، ففى التفسير النقلى يتمُّ التأكيد على النقل أكثر من غيره، أمّا فى التفسير الاجتهادى فيتمُّ التأكيد على العقل و النظر» (مركز نون للتأليف و الترجمة، ٢٠١٢، ص ١٣٣-١٣٤).

مثال من تفسير البيّات: استفاد السيّد القزوينى (ره) من هذا المنهج و هو المنهج العقلى فى بعض الآيات و من بينها الآيات التى تتحدّث عن قدرة الله تعالى على إحياء الموتى وإعادة الخلق من جديد بحيث أعطى سبحانه و تعالى مثلاً على خروج النبات من باطن الأرض، قائلاً:

« و يحيى الأرض بعد موتها؛ و يحييها بالنبات بعد جروبها و انتعاشها و ابتهاجها بالنبات فى الربيع و الصيف بعد جمودها و الخريف و الشتاء.

و كذلك تخرجون: أى كما أحيا الأرض بالنبات بعد موتها كذلك يحييكم و تبعثون و تخرجون من قبوركم بإحياءٍ جديد، و المراد أنَّ من يقدر على الابداء فهو قادرٌ على الاعادة ».

٤ - منهج التفسير العلمى:

«مصطلح: (التفسير العلمى للقرآن الكريم)، من المصطلحات الحديثة فى الأوساط العلمىّة، وهو يشيرُ إلى تأويل بعض الآيات القرآنيّة أو تفسيرها بما يتفق وبعض النظريات العلمىّة أو الاكتشافات الحديثة، ولذلك اختلفت وجهات أنظار العلماء وأبناء المسلمين فيه.

فمنهم من يرى فيه فتحاً جديداً وتجديداً في طريق الدعوة إلى الله وهداية الناس، ومنهم من يرى أن هذا اللون من التفسير يخرج بالقرآن الكريم عن الهدف الذي أنزل من أجله، أو أن فيه إقحاماً للتفسير في مجال متروك العقل البشري أن يجرب فيه فيخطئ ويصيب وقد أدلى كل فريق برأيه وحجته». (عطا عمر، ١٤٢٨ ق).

مثال من تفسير البينات: أشار السيّد في تفسير الآية ٨ من سورة الروم: «أولم يتفكروا في أنفسهم...» إلى مسأله علمية تتحدث عن رجوع الإنسان إلى نفسه و التفكير و النظر فيها مثلاً إلى كيفية هضم معدته للأكل بحيث تحدث عن كل الأطوار التي يتم فيها هضم الطعام قائلاً:

« فخلق للإنسان معدة فيها ينهضم غذاءه لتقوى به أعضاءه و لها منفذان: أحدهما لدخول الطعام فيه و الآخر لخروج الطعام منه، فإذا دخل الطعام انطبق المنفذ الآخر بعضه على بعض بحيث لا يخرج منه ذرة و لا بالرشح و تمسكه الماسكة إلى أن ينضج نضجاً صالحاً ثم يخرج من المنفذ الآخر... ».

٥ - منهج التفسير الإشاري :

« المنهج الإشاري هو أحد المناهج القديمة في التفسير، وقد عُرِفَ بأسماءٍ مُتنوّعة، مثل التفسير الباطني، العرفاني، الشهودي، والرمزي، وكلُّ من هذه الأسماء يُشير إلى نوعٍ خاصٍّ من هذا التفسير. وهناك اختلافٌ كبيرٌ في وجهات النظر بين المفسرين والمحققين بالنسبة إلى هذا المنهج وأنواعه، فهناك من ارتضى بعض أقسامه واستفاد منه، ومنهم من رفضه واعتبره من التّأويل والباطن ». (مركز نون للتأليف و الترجمة، ٢٠١٢، ص ١٦٢ - ١٦٤) .

معنى المنهج الإشاري في التفسير:

« الإشارة لغةً: بمعنى العلامة والإيماء والذي يعني اختيار أمرٍ من الأمور (من القول أو العمل أو الرأي)، وقد وردت هذه الكلمة في القرآن، كما في الآية (فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ) (سورة مريم، الآية ٢٩) أى اختيارُ شيءٍ وإرجاعُ لهم إليه.

أما في الاصطلاح: فالإشارة تعنى أن يُستفاد شيء من الكلام دون أن يكون موضوعاً له. والإشارة قد تكون حسيّة كما هو الحال في ألفاظ الإشارة مثل: (هذا)، وقد تكون ذهنيّة كالإشارة للمعنى في الكلام، بحيث لو أراد التصريح به للزمه الكثير من الكلام، ثم إن الإشارة قد تكون ظاهرة وقد تكون خفيّة.

وعلى هذا يكون المراد من التفسير الإشاري هو ما يُطلق على الإشارات الخفيّة الموجودة في آيات القرآن، والتي تعتمد على أساس العبور من ظواهر القرآن والأخذ بالباطن، أى استخراج وفهم وتوضيح نكتة من الآية لا توجد في ظواهر الآية عن طريق دلالة الإشارة «(الرضائي، دروس في المناهج والإتجاهات التفسيرية للقرآن ، ص ١٩٢) .

«وبسبب تعدد أنواع التفسير الإشاري، كالتفسير الرمزي، العرفاني، الصوفي، الباطني، والشهودي، فقد تنوعت التعاريف تبعاً لذلك «(مركز نون للتأليف والترجمة، ٢٠١٢، ص ١٦٣ - ١٦٤).

٦ - منهج التفسير بالرأى :

الرأى: الأصل في معنى هذه الكلمة هو النظر بكل وسيلة، وتشمل النظر بالعين أو بالقلب أو عن طريق الشهود الروحاني أو بقوة الخيال.

وكلمة "الرأى" بمعنى: «اعتقاد النفس أحد النقيضين عن غلبة الظن» (الراغب الأصفهاني، ١٣٦٩ق، مادة: رأى)، ويرى بعض المفسرين أن القرآن والسنة لم يستعملا "الرأى" بمعنى الإدراك العقلي. فإذاً يمكن أن يقال إن معنى "الرأى" هو العقيدة أو الانطباع الشخصي الذي يتكوّن على أساس الظن .

« وخلاصة القول في منهج التفسير بالرأى: إن الشيء المذموم أو الممنوع شرعاً، الذي استهدفه حديث (من فسّر القرآن برأيه..)، أمران:

١- أن يعمد شخصٌ إلى آيةٍ قرآنيّةٍ، فيُحاول تطبيقها على ما قصده من رأيٍ أو عقيدةٍ أو مسلكٍ، تبريراً لما اختاره في هذا السبيل، أو تمويهاً على العامّة. وهذا قد جعل القرآن وسيلةً لإنجاح مقصوده بالذات، ولم يهدف إلى تفسير القرآن في شيء.

٢- الاستبداد بالرأى في تفسير القرآن، محايداً طريقةً العقلاء في فهم معاني الكلام، ولا سيّما كلامه تعالى، فإنّ للوصول إلى مراده تعالى من كلامه وسائل وطرقاً، منها: مراجعة كلام السلف، والوقوف على الآثار الواردة حول الآيات، وملاحظة أسباب النزول، وغير ذلك من شرائط يجب توفرها في مفسر القرآن الكريم، فإغفال ذلك كلّ، والاعتماد على الفهم الخاصّ، مخالف لطريقة السلف والخلف في هذا الباب. ومن استبدّ برأيه هلك، ومن قال على الله بغير علم فقد ضلّ سواء السبيل»

(الرضائي، دروس في المناهج والإتجاهات التفسيرية للقرآن ، ص ٢٠٢).

الخلاصة:

ل للوصول إلى فهم كلام الله عزوجل و المراد منه توجد أساليب مختلفة تتمثل في: الرجوع إلى كلام القدماء، الاستفادة من الروايات الموجودة التي تتحدث عن الآيات الكريمة، البحث في أسباب النزول، و أمور أخرى يجب أن تكون بيد المفسر. لذلك فإنّ ترك هذه الموارد و الاعتماد على الفهم الخاص، هذا مخالف لأسلوب القدماء و العلماء في هذا المجال، و أى شخص يصر على رأيه الخاص فقد ضلّ سواء السبيل .

من دراستنا لهذا التفسير الذى بين أيدينا لاحظنا أنّ المفسر الفاضل (ره) سلط الضوء على جميع مناهج التفسير ما عدا منهج التفسير بالرأى - و الذى لا يقبل به أصلاً - و التفسير الإشارى، فهو قد استفاد من المصادر الأساسيّة في تفسيره كما ذكرها في مقدّمته المباركة، بحيث اعتمد على نفس القرآن في تفسيره و على الروايات - من المدرستين الشيعيّة و السنيّة - و استفاد أيضاً من العقل - طبعاً بالاستدلال - و أتى ببعض الأمور العلميّة التي أشار إليها في بعض الموارد.

الإتجاهات التفسيرية:

الاتجاه التفسيري: «هو تأثير الاعتقادات الدينية، الكلامية، والاتجاهات العصرية وأساليب كتابة التفسير، والتي تتكون على أساس عقائد واحتياجات وذوق وتخصّص المفسّر». (الرضائي، دروس في المناهج و الإتجاهات التفسيرية للقرآن ، ص٣٥٨).

و الاتجاهات التفسيرية هي كالاتي: الاتجاه الكلامي، الفقهي، الأدبي، الفلسفي، و الاتجاه الاجتماعي.

١- الإتجاه الكلامي:

الكلام: « في اللغة: بمعنى الحديث.

أما في الاصطلاح: فيُطلق على علم العقائد.

أكثر ما يهتم به المفسّر في الاتجاه الكلامي هو:

١- الاهتمام بتفسير آيات العقائد (التوحيد العدل النبوة الإمامة المعاد).

٢- الاهتمام بالآيات المتشابهة في القرآن.

٣- إثبات عقائده ونفي عقائد الآخرين عن طريق تفسير الآيات.

٤- إنّ بواعث المفسّر هو الدفاع عن عقائد المسلمين أو الدفاع عن المدرسة الكلامية التي يتبناها.

٥ - الاستفادة من المنهج الاجتهادي والعقلي في التفسير، وأتباع الطريقة الاستدلالية، إضافةً إلى استخدام الروايات والآيات أيضاً، ولهذا فقد تشتمل التفسيرات الكلامية على مناهج واتجاهات متعدّدة». (الرضائي، دروس في المناهج و الإتجاهات التفسيرية للقرآن ، ص ٣٦٦).

مثال من تفسير البيّنات: هناك بحوث كلامية متعدّدة إستفاد منها المفسّر (ره) في هذا التفسير نحاول سرد عناوينها - إن شاء الله تعالى - :

سورة العنكبوت :

- مسألة الإحباط و التكفير: هذا البحث جاء بعد تفسير الآية السابعة، و فى نهاية هذا البحث ذكر موضع من مواضع إختلاف المعتزلة مع غيرهم فى مسألة الإحباط. بحث حول المعاد. بعد الآية ٣٥ دلائل الوجدانية بالكتب و المعجزات، فائدة و تبصرة عن رؤية الملائكة و أيضاً عن تجسّم جبرئيل و الملائكة و هو بحث غيبى . بعد الانتهاء من تفسير الآية ٤٠، أتى المفسر (ره) ببحثٍ عنوانه: (مبدأ تكون علم الكلام)، و هو بحث تاريخي مطوّل حول نشأة علم الكلام و مبدأ تكون المذاهب المختلفة و علّة نشوءها، ثمّ أشار السيّد الفاضل إلى مذهب المعتزلة و الأشاعرة و مذهب الأمر بين الأمرين و تطرّق إلى وجه تسميته هذه المذاهب و عقائدهم مع بيان المذهب الحقّ . بحث حول أفضليّة على عليه السلام على سائر الصحابة. كلام فى الشّرك الخفى والرياء، بما أنّ الشّرك الخفى من المباحث العقديّة فيعتبر بحثاً كلامياً.

حول خلق السّماوات و الأرض بالحقّ . بحث حول إشتباه الرياء بالقربة. الكلام فى كونه (ص) أمياً و هذا من معجزاته (ص) . ليس من شرط الرّسالة إظهار المعجزة . القرآن معجزة للنبيّ (ص). دلائل النّبوة و إعجاز القرآن. بحث حول عذاب الله فى الدّنيا و بعد الموت. عذاب يوم القيامة. الموت و الرّجوع إلى الله بعد الموت .

بحث حول طلب الرّزق لا ينافى التّوكّل عليه تعالى. تتحدث عن خالق السّماوات و الأرض. بحث عن رجوع المُشرك إلى الفطرة وقت إنقطاع الرّجاء .

سورة الروم:

بحث عن كيفة النّظر إلى الأنفس لمعرفة الخالق تبارك و تعالى . بداية الخلق و إعادته من بعد الموت و هذا من قدرته تعالى. كيف يكون المُجرم آيساً من رحمة الله التى يفيضها الله تعالى على المؤمنين يوم القيامة .

يوم القيامة يتفرّق الناس إلى فرقتين - المؤمنين و المشركون - مصير كلّ فرقة من هذين الفرقتين. دليل على البعث بعد الموت. وحدانية الله فى الألوهيّة و الرّبوبيّة. الآيات الدالة

على وحدانيته وقدرته تعالى، بحث حول اللطف والهداية الإلهية، بحث عن فطرة الله الحقّة التي خلق الناس عليها. بحث بعنوان: من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر . و ذلك أنّ العبادة و الصلاة لا تؤتى إلا بالإخلاص في التوحيد. بيان من أنّ التوحيد أمرٌ وجدانيٌّ . بيان لتوحيده تعالى. دلائل التوحيد ووحدانيته تعالى، خطاب تسليّة للنبيّ (ص) في تكذيب قومه له مع بيانه (ص) دلائل القدرة و الوحدانية. قدرة الله تعالى في الرياح و الأمطار. رحمته الله تعالى و إحياء الموتى. دلائل التوحيد و هذا في كيفية خلق الإنسان و الأطوار التي يمرُّ بها حين خلقه. بيان حول البيع و المعاد و أحوال القيامة. يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون توحيد الله و لا يعرفونه. الآية - ٦٠ و هي آخر آية من سورة الروم يبيّن تعالى أنّه سوف يظهر دينه على سائر الأديان و هذا حقٌّ لا بدّ من إنجازه .

(تمّ الكلام في هذا القسم من المنهج الكلامي) .

٢- الاتجاه الأدبي:

«تعتبر اللغة و الآداب العربية أحد المصادر المهمة في تفسير القرآن، و لا يمكن أن يستغنى عنها أي مفسر. إن أكثر ما يهتم به أصحاب هذا الاتجاه، هو المسائل التالية:

- ١ - الاهتمام بالمسائل النحوية و الصّرفية للألفاظ و عبارات القرآن، و في بعض الأحيان، يقوم المفسّر بإعراب الآيات و دراسة النّواحي الصّرفية فيها.
- ٢ - الاهتمام ببيان المسائل و اللطائف البلاغية و فصاحة القرآن.
- ٣ - الاهتمام بالاعجاز الأدبي و البلاغي، أو إثبات ذلك.
- ٤ - توضيح اللغات الغريبة و المشكلة في القرآن.
- ٥ - الاهتمام بجذور الكلمات في اللغة العربية و الثقافات غير العربية، أي تتبّع الكلمات الدخيلة من اللغة العبرية، و السريانية، و الفارسية و
- ٦ - الاهتمام باختلاف القراءات، و تأثير ذلك في معاني الآيات.

٧ - الاستفادة من أشعار العرب، و خصوصاً الجاهلي منها، كمصدر للتعرّف على معاني القرآن.

٨ - الاهتمام بمباحث الوجوه و النظائر و احقيقه و المجاز. (الرضائي، دروس في المناهج و الإتجاهات التفسيرية للقرآن ، ص ٣٨٩).

مثال من تفسير البينات: بما أن الاتجاه الأدبي هو ضروري في التفسير، فإن هذه النسخة التي بين أيدينا لا تخلو من هذا الاتجاه، فنجد السيد (ره) قد استعمله في تفسيره فمثلاً في هذه الآية: " مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ " (٥). من سورة العنكبوت و في توضيح كلمة: "الرجاء"، استند إلى بيت شعري لتوضيحها و هي بمعنى الخوف قائلاً:

« أَى من كان يأمل لقاء ثواب الله، و قيل: الرجاء قد يكون بمعنى الخوف كما في قول الشاعر: إذا لسعتها التحل لم يرج لسعها و خالفها في بيت نوب عواسل ».

و في الآية: (٣١) من نفس السورة أورد المفسر (ره) نكتة بلاغية حول إضافة عبارة: "مهلكوا أهل هذه القرية"، بأن هذه الاضافة لفظية تفيد التخفيف و ليس التعريف أو التخصيص، قائلاً:

«و إضافة مهلكوا إلى قرية إضافة لفظية تفيد التخفيف لا التعريف و التخصيص لأنه بمعنى الإستقبال أو الحال القريب منه، لا الماضي ».

٣- الإتجاه الفقهي:

«إنّ المفسر إذا إتجاه الفقهي غالباً ما يهتمّ بالعناصر التالية:

- ١- تفسير الآيات التي تتضمن أحكاماً فقهية تخص حياة الإنسان.
- ٢- اهتمام المفسر يكمن في استنباط الأحكام الشرعية الفرعية عن طريق آيات القرآن.
- ٣- عادةً ما يون المفسر لآيات الأحكام مجتهداً في الفقه.

٤- عادةً ما يستخدم المفسر في هذا الاتجاه المنهج الفقهي في التحليل ويستفيد من الكتاب والسنة والإجماع والعقل. يتنوع التفسير الفقهي تبعاً للمباني التي يختارها المفسر في الفقه والأصول، فإذا ما ذهب المفسر الفقيه إلى حجية الخبر الواحد، أو الإجماع، فإن نتائج التفسير سوف تختلف عن المفسر الذي لا يعتقد بحجيتها.

إن الاتجاه الفقهي للتفسير يختلف تبعاً لاختلاف المذاهب الفقهية، نشير إلى أهم هذه الاتجاهات: الاتجاه الفقهي الشيعي، الشافعي، المالكي، الحنفي، الحنبلي (مركز نون للتأليف و الترجمة، ٢٠١٢، ص ٢١٧).

مثال من تفسير البيئات: ذكر المفسر (ره) بحثاً حول الخمس في الآية ٣٨ من سورة الروم، و بين فيه أنه لا بُدَّ من إعطاء الخمس للفقراء من أهل البيت عليهم السلام، و أشار إلى أن النبي (ص)، لما نزلت هذه الآية أعطى فاطمة عليها السلام فدكاً قائلاً:

«...ليكون مفاد الآية إعطاء الخمس إلى فقراء أهل البيت عليهم السلام، (و المسكين و ابن السبيل)، أي و أعطى المسكين الذي لا يقدر على قوت سنته

» أنه لما نزلت هذه الآية على النبي (ص) أعطى فاطمة سلام الله عليها فدكا و سلمه إليها «.

٤- التفسير الفلسفي:

«موضوع الفلسفة هو الوجود و أحكامه، و يعتمد الفلاسفة على العقل و الاستدلال في تحليل الوجود، و غالباً ما يكون اهتمام أصحاب هذا الاتجاه بالمسائل التالية:

١ - الالتفات إلى تفسير الآيات المتعلقة بوجود الله و صفاته.

٢ - الالتفات إلى الآيات المتشابهة.

٣ - تأويل ظواهر الآيات، و التوفيق بينها و بين الآراء الفلسفية و الآيات، و اتخاذ الآيات شاهداً على الآراء الفلسفية.

٤٩ - الاستفادة من العقل و البرهان، و اعتماد المنهجين الاجتهادى و العلقى فى التفسير» (الرضاى، دروس فى المناهج و الإتجاهات التفسيرية للقرآن ، ص ٣٧٧).
و ذكر الدكتور الذهبى قائلاً: « و الفلاسفة كانت لهم طريقتان للتوفيق بين الدين و الفلسفة:

أ - تأويل النصوص الدينية و الحقائق الشرعية بما ينسجم مع الآراء الفلسفية.
ب - شرح النصوص الدينية، و الحقائق الشرعية، بما يتفق مع الآراء الفلسفية و تحميل هذه الآراء على النصوص، و هذه الطريقة أخطر من الأولى» (الذهبى، ج ٢، ص ٤١٨).
مثال من تفسير البينات: و فى توضيحه للآية: ٤٩ من سورة الروم، أشار السيد (ره) إلى القاعدة العقلية و الفلسفية التى تقول: "الشيء ما لم يجب لم يوجد"، و انطلاقاً من هذه القاعدة بين أن كل حوادث الكون معلولة إلى العلة التامة و هى علة العلة و هو الله سبحانه و تعالى الذى تنتهى إليه كل العلة، ثم ذكر ما يعتقد به (الإلهيون) و (الماديون) من هذه القاعدة، قائلاً:

«قاعدة: الشيء ما لم يجب لم يوجد..... أن حوادث الكون و موجودات عالم الوجود كلها معلولة لعل تامة بها و جدت و تحققت كما نرى ذلك فى إحراق النار و.... إلا أن الموحدين و أرباب الملل و التحل من (الإلهيون) يعتقدون أن هذه الأسباب و العلة ليست أسباباً وعللاً تامة لظهور الحوادث بل كلها معدّات وعلل ناقصة و شرائط لوجود المسببات والحوادث، و أن العلة التامة لوجودها و تأثير الأسباب هو مشيئة الله تعالى و إرادته سبحانه، فإذا شاء وأراد يؤثر الأسباب العادية تأثيرها، خلافاً (للماديون) و (الدّهريون)؛ أنهم ينسبون الحوادث إلى الأسباب المادية و يزعمون أنها العلة التامة للتأثير...»

٥- التفسير الاجتماعى :

«تأثير ذوق المفسر وخلفياته الاجتماعية العصرية فى عملية تفسيره للقرآن وفهم معانيه وبيان مقاصده. أغلب ما يهتم به المفسر فى الاتجاه الاجتماعى، هو الآتى:

أ- الآيات التي تتناول المسائل الاجتماعية.

ب- الانطلاق من مشاكل الواقع المعاصر إلى القرآن بحثاً عن حلول لها.

ج. الآيات التي تتناول التعاليم التربوية والأخلاقية.

د- إيصال تعاليم القرآن إلى أكبر قدر من الناس.

هـ - الاستفادة من المناهج المختلفة في التفسير، كالمناهج الاجتهادية والعقلية، وتفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة (مركز نون للتأليف و الترجمة، ٢٠١٢، ص ٢٩٠ - ٢٩١).

مثال من تفسير البينات: في الآية: ٨ من سورة العنكبوت التي تتحدث عن توصية الله تعالى بالوالدين أشار السيد (ره) إلى بحث إجتماعي و مهم و هو برّ الوالدين و الذي يعتبر من أوثق و أكبر العلاقات الاجتماعية، بحيث بين كيفية إطاعة الوالدين و عدم عقوقهما و اتباعهما في كل شيء ماعدا الشرك بالله تعالى لأنه غير جائز و لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، قائلاً:

«..و إلى هذا المعنى يشير قوله تعالى: " و إن جاهدك لتشرك... إلخ " ، أى أيها الإنسان إن جاهدك أبواك و أزمالك وليتفرغا مجهودهما في دعائك الشّرك بى فى العبادة ما ليس لك به علم و ليس لأحد به علم إذ لا معلوم لتعلّق العلم به فلا تطعهما... فأمر سبحانه و تعالى إطاعتهم فى الواجبات والمباحات ونهى عن طاعتهم فى المحذورات و نفى العلم به، فلا يحسن اعتقاده و فيه ترغيب فى رعاية حقوق الوالدين و ترهيب عن عقوقهما و إن كانا كافرين إلّا فى الدّعاء إلى الشّرك».

النتيجة:

من الملاحظ فى هذا التفسير أنّه كان تفسيراً شاملاً و جامعاً للاتجاهات التفسيرية، فقد كان تفسيراً اجتماعياً، فقهياً، فلسفياً، أدبياً، كلامياً، و ماشاهدناه أنّ الإتّجاه الكلامي هو السائد و الأكثر استعمالاً فى هذه الصّفحات المباركة التي بين أيدينا، ممّا يؤكّد مهارة السيّد الفاضل (ره) فى هذا العلم و تمكّنه من تسليط الضّوء على المباحث الكلامية - التاريخية منها - فيعتبر تفسيراً اجتهادياً كلامياً.

المصادر:

١ - القرآن الكريم

٢- الأزرقى، أحمد، (٢٠١١م)، منهج فهم القرآن عند الشهيد الصدر، الطبعة الثانية، مطبعة الكوثر، منشورات المحبين.

٣- الرضائي الأصفهاني، محمد علي، دروس في المناهج والإتجاهات التفسيرية للقرآن، الطبعة الأولى، مكتب التخطيط و تدوين المناهج الدراسية - المركز العالمي للدراسات الإسلامية.

٤- الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، بيروت: دار إحياء التراث العربي، بي تا.

٥- بن محمد بن المفضل، حسين (المعروف بالراغب الأصفهاني)، المفردات في غريب القرآن، بيروت: دار المعرفة .

٦- بن محمد بن المفضل، حسين (المعروف بالراغب الأصفهاني)، ١٣٦٩هـ ترجمه و تحقيق مفردات الفاظ قرآن با تفسير لغوي و ادبي قرآن، الطبعة الأولى، ايران، طهران: مرتضوى.

٧- عطا عمر، أحمد، (١٤٢٨ق)، المنهج القويم للتفسير العلمى فى القرآن الكريم، بي جا، مركز التفسير للدراسات القرآنية.

٨- مركز نون للتأليف و الترجمة، ٢٠١٢ - ١٤٣٣، دراسات فى مناهج التفسير، الطبعة الأولى ، الإعداد الإلكتروني: شبكة المعارف الإسلامية، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية.